

المصباح

١٣١٥

يوم السبت ١٧ محرم سنة ١٣١٧ الموافق ٢٧ مايو - ايار - سنة ١٨٩٩

حياة الاسلام

في مصر

كلما ذاق كأس يأس صرير جاء كأس من الرجا معسول
 يزداد في كل يوم طوفان السياسة الانكليزية فيضانا على مصر فيجرف
 كل ما يمترض في سبيله ويقر المصالح ويعلو جميع المنافع حتى انه ليرآى
 للمشرف على مجاري سيوله ان الامة المصرية قد فرقت منه في بحر لحي
 تملوها أمواجه . وتفيض على ما جاورها اثابجه . فققدت بذلك الحياة السياسية .
 واضاعت المزايا القومية . وانقطعت منها الآمال . في الحال والمآل . حكم ناموس تنازع
 البقاء العام . الذي لا يقبل النقض بعد الا برام . فلتهم القوي بمقتضاء حق الضعيف
 ويسود العالم الجاهل . ويقيس الناظر مصر على الهند وجاوا وسائر البلاد الاسلامية
 التي اظلتها الساطة الاوربية فحالت بينها وبين كل تقدم وارتقاء
 كل هذا يخطر في البال ويجول في فضاء الخيال ولكن حديد النظر
 بعيد الفكر يعلم ان من مقنض ناموس تنازع البقاء ايضا مجارة كل امة لجاورتها
 في اسباب الارتفاع وتقليد التوية للضعيفة في وسائله اذا كانت على علم بها

ولو بالاجمال هوكل من سار على الدرب وصل، وان قياس المصريين على المهندسين
والجاويزين قياس مع الفارق والفرق من وجوه شتى احدها ان الاجانب
استلوا على الاولين وهم على جهل تام باحوال الاجتماع البشري فكان
اهم عمل لهم بعد فقد استنابلهم معاداة كل ما عليه الاوربيون من العادات
ومحاربة ما عندهم من العلوم والفنون وطرق السياسة والاقتصاد وسائر
الشؤون الاجتماعية والمصريون ليسوا كذلك وثانيه انه لم يكن عندهم جرائد حرة
تعرفهم بلهم وما عليهم وما هم فيه ولم يكن لهم روح اجتماع بحيث تلاقى افكارهم في جو
واحد وان تلاقى الافكار في جو واحد نافع وان كان هواؤه فاسداً لان الفرق
لا يأتي الا بالسرور والاجتماع ولو على الباطل والخطأ مبدأ للوحدة لما توقع
بعده من الانزال الى الاجتماع على الحق والصواب . والمصريون قد سبق
لهم اجتماع من عهد قريب باسم الامة والوطن وهو ما كان من امر الثورة
الراية المشواه ثم ما كان من الفيرة على الدولة العلية في حالة الحرب
الاخيرة ثم في حالة الاعانة العسكرية الشاهانية فقد ظهر من المصريين في
هاتين الحالتين من الاخلاص والفيرة والبذل مع ما يعتقدون من عدم ارتياح
حكومتهم لذلك ما لم يظهر من غيرهم من العثمانيين ثم ان لهم اجتماعات من
دون هاتين كالاتصال بعيد الجلوس الهمايوني الذي بذلت فيه اموال كثيرة
وكالعناية والاهتمام بمحاكمة صاحب جريدة المريد التي يعتقد السواد الاعظم بصدق
وطبعتها وابتهاجهم بما كان له من التاج على الحكومة التي كانت خصمه في
تلك المحاكمة . وهذا وما قبله ليس بالامر الصغير من شعب هو اشد الشعوب
هيبه لحكومته وخصومتها . وعندهم جرائد يعرفون من مجموعها ما لهم وما
عليهم نعم اني الدهما منهم يرجعون فيالترجم على الحقيقة ويختارون الهزل على

الجد وهذه هي العقبة الكبرى في طريق ارتقاء الجرائد (ثالثاً) ان المصريين
 يمتازون على سائر الشعوب الاسلامية بامرین عظيمين وهما المنافسة وسرعة
 قبول الاصلاح اذا جاء على يد عظيم محترم امام الدينه واما المارجي من خيره
 او يخشى من شره فاذا تسنى لبعض الكبراء فيهم اشراع مناهج الارتفاع
 الاقتصادي والادبي وان شئت قلت الديني والديني في يلبثون ان يتباروا
 ويتنافسوا في السباق حتي لا تدرك شأوم الشعوب الاخرى التي تفوقهم في
 الهمة والاقدام والثبات كالسوريين وغيرهم

ان امام المصريين وسائر المسلمين سدا منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين
 السير في طريق الترقى فاذا استطاعوا ان يظهروه او ينقبوه - ولا أقول ان
 يدكوه - يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهج الواضح والموثق
 الواسع وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست اغلالاً
 في اعناقهم وسلاسل في ايديهم وقيوداً في ارجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقراً
 في اسماعهم وريئاً على قلوبهم . وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فانما نزل من
 سماء عظمتهم واستبدادهم . وان تعجب فمجب قول من ليس للدولة العثمانية
 في بلادهم امر ولا نهى ولا نفوذ ولا سلطان « ان حياتنا بين يدي المايين
 !! وان السعادة مستهبط علينا من افق الباب العالي » وهم يعلمون ان البلاد
 التي تحت جناح المايين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق اهلها
 كل ممزق ولا ينال تلك البلاد واهلها من المايين والباب العالي الا الاعتراض
 على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

ماذا جنى ويمجنى اهل جاوا والهند ومصر من الظهور القولي في حب
 مظاهرة الدولة العثمانية ؛ لعمرك انهم لا يجنون الا الحنظل والزقوم فان

هو لاندوا وانكثرا كلما آنتنا منهم اليها ميلاً . او سمعنا منهم فيها قولاً . يزيدان عليهم الضغط . والاضطهاد . والقهر والاستبداد . اولاً يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ؛ لا اقول لهؤلاء المسلمين انغصوا الدولة الثمانية ولكني اقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجو منها مالا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكذككم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة فعلية فانهضوا معها ان كنتم صادقين . كل عاشق يحذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون . ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لفظكم بذكرها الا مثلما ينالكم من الضغط الاوربي والاضطهاد . نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولهجكم بمدحه ولكن هل تشترون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة . اقول هذا وانا اعتقد انه لباب النصح الذي يوجبه علينا ديننا واخلاصنا لامتنا ودولتنا ومن يدين لنا بالبرهان انا مخطؤون فاننا نرجع الى رأيه . واذا كان القول صواباً فعلي اخواننا المسلمين ان يدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صدهاء . والمنتظر من الجرائد الهندية التي تتفضل دائماً بترجمة مقالات المنار ان تنقله الى لفتها ليحيط به قراؤها علماً

أيها الاخوان المصريون لا يرو عنكم طوفان الاحلال ولا تقنطوا من النجاح لاستئثار الاجانب بالوظائف والمناصب وعيبتهم بالمصالح والمنافع فنجاح وطنكم بالزراعة والاقتصاد وحياة امتكم كلها بالمعارف وان الاسلام لينظر منكم مالا ينتظر من سواكم فانتم اكثر المسلمين بذلاً للدرهم والدينار . واشدهم منافسة ومباراة في طرق الفخار . تبذلون الالوف والملايين للدنيا وباسم الدين . ولا حاجة للاسلام بمباراة المساجد . فانها تزيد على حاجة

المصاين . ولا لاقامة الوالد . فانها من بدع المحدثين . وليس انفسخار بالنفقات
الراسعة في الافراح والمآتم . والولائم والوضائم . ولا ببناء القصور (الاحواش)
على القبور . وانما حاجة الاسلام - وفيها التفخار الحقيقي والشرف الصحيح -
الى بناء المدارس والنفقات الواسعة على تعميم المعارف لكن لا لأجل خدمة
الحكومة بل لأجل خدمة الامة أفلا يوجد فيكم يا قوم عاقل فهم هذا ووقف
ان على سر تقدم أوربا هو الهبات المالية للعلم فأقدم على العمل لتقدم أمته ؟
ألا يوجد مسلم يوقن بان الله اشترى من المؤمنین اموالهم وانفسهم لاعلاء
كلمته ونصرة دينه فيبذل ماله في سبيل الله ؟ ألا يوجد فيكم عب
للمحمدة الحقة والمجد المؤثر يعمل عملاً كهذا يحفظه له التاريخ الى الابد .
ويكون مفخراً لقومه مابقى منهم احد ؟ بل ان الاستمداد لهذه الاعمال
متأصل فيكم وأنتم احق بها وأهلها ولكن عدت على الروابط العمومية عواده
اشتبه بها على الناس سبيل الرشاد * والآن قد حصحص الحق * وبادر الى
العمل اهل الاخلاص والصدق * والسابقون السابقون * وثالث المقربون *
أول من فتح هذا الباب صاحب السعادة المفضل عثمان باشا ماهر
الذي كان رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية الى عهد قريب فانه وقف منذ
سنين ٢٥٠ فدانا على الازهر الشريف ومنذ أيام الحق بهذا الوقف احد
عشر فدانا اخرى ثم وقف بقية اطيانه وهي ٤٤٥ فدانا أو تزيد يبلغ
ريمها في السنة نحو الف وخمسة جنية على انشاء مدرسة اسلامية تعلم العلوم
الشرعية والآلية من مقبول ومنقول وفروع وأصول وقام في أثره داخل القبور
علي بك فهمي المهندس المقاول الشهير بالار والاحسان يشرع في عمل عظيم
الا وهو انشاء (دار علوم) على نحو دار العلوم التي انشأها الطيب المذكور

والايرعلي باشا مبارك ناظر المعارف المصرية سابقاً (رحمه الله تعالى) على زفة الحكومة
 * تعلم فيها العلوم الدينية العالية وجميع الفنون الرياضية والطبيعية التي يتوقف
 عليها ارتقاء الامة ومجاراتها للامم القوية العزيزة وهذه هي الخدمة الكاملة
 للاسلام الذي نبى على دعائم السمادتين ووضع لفوز الآخذ به بالحسنين
 وستكون تلامذتها من نجباء طلاب العلم في الازهر يختارون بالامتحان ويوقف
 عليها وقفاً يبلغ ريعه في السنة أربعة آلاف جنيه وهذا هو السخاء الحقيقي
 والكرم الحميد

اذا قام في المصريين عدة رجال مثل هذين الرجلين الكريمين ومثل
 العالم الفاضل عزتو علي بك رفاعة (وكيل نظارة المعارف سابقاً) الذي نبى
 مدرسة في طهطا ووقف عليها ما يكفي لقوامها ودوامها ان شاء الله تعالى ومثل
 الفاضل المهام سيد احمد بك زعزوع الذي نبى مدرسة للذكور ومدرسة للبنات في بني
 سريف ووقف عليهما سبعين فداناً من أحسن اطيانه فبمثلهم نهض البلاد
 ونحيا الامة واذا حيت مصر فلا ريب ان روح الحياة يسري منها الى جميع
 العالم الاسلامي * نعم نعم ان الحياة في تعميم العلوم الدينية والديوية جميعاً
 لا يكون قاضينا من الاستانه ولا حاجة لنا مع هؤلاء الرجال الاخيار الذين
 يجودون بالدرهم والدينار * الا الى معلمين اكفاء * ومدرسين احياء * يستخدمون
 الدين واللم لكشف النعمة * وتنفخ روح الحياة في جسم الامة * ولا يخفى
 على نبيه * ان فاقد الشيء لا يعطيه * فالى هذا توجه انظار هؤلاء المؤسسين
 فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
 الى محوربة يانها أو حكومة يتقرب اليها فهجرته الى ماهاجر اليه